بلد الشيخ

بلد الشيخ: قرية فلسطينية مهجّرة من قضاء حيفا

بلد الشيخ قرية فلسطينية مهجّرة من قرى قضاء حيفا، كانت تقع في سهل حيفا عند سفح الامتداد الشمالي الغربي لجبل الكرمل، على بعد نحو 7 كيلومترات جنوب شرقي مدينة حيفا، وعلى ارتفاع متوسط يبلغ نحو 75 مترًا عن سطح البحر. بلغ عدد سكانها 4,120 نسمة في إحصاءات 1944/1945، وكانوا جميعًا من المسلمين. تعرضت القرية لمجزرة نفذتها قوة من البلماح التابعة للهاغاناه في 31 كانون الأول/ديسمبر 1947، ثم أُخليت جزئيًا، قبل أن يُهجّر من تبقى من سكانها وتحتلها قوات الهاغاناه في 24–25 نيسان/أبريل 1948، في سياق عملية بيعور حميتس التي نفذها بصورة رئيسية لواء كرملي.

البيان	المعلومة
القضاء	حيفا
المسافة من مركز القضاء	7 كم جنوب شرقي حيفا

البيان	المعلومة
متوسط الارتفاع	75 مترًا عن سطح البحر
السكان سنة 1931	747 نسمة – يشمل الرقم الصويطات وعرب القليطات وعرب السمنية وعرب الطوقية
عدد المنازل سنة 1931	144 منزلًا – يشمل الرقم الصويطات وعرب القليطات وعرب السمنية وعرب الطوقية
السكان سنة 1944/1945	4,120 نسمة
تقدير السكان سنة 1948	نحو 4,779 نسمة – تقدير ديموغرافي لاحق وليس تعدادًا رسميًا
إجمالي الأراضي سنة 1945	9,849 دونمًا
الهجوم والتهجير	ارتكبت الهاغاناه مجزرة في القرية في 31 كانون الأول/ديسمبر 1947 نفذتها قوة من البلماح قوامها 170 رجلًا، وقُتل فيها أكثر من 60 من أهلها بينهم نساء وأطفال، فأُخليت القرية جزئيًا في 7 كانون الثاني/يناير 1948. وفجر 24 نيسان/أبريل 1948 حاصرتها وحدات من الهاغاناه وقصفتها بمدافع الهاون والرشاشات، ثم أُخلي سكانها بموجب هدنة رتّبها البريطانيون.
السيطرة الإسرائيلية النهائية	أواخر نيسان/أبريل 1948: لم تحتل القوات الصهيونية القرية إلا في نهاية نيسان/أبريل، بعد حصارها وقصفها فجر 24 نيسان/أبريل وإخلاء سكانها بموجب هدنة رتّبها البريطانيون؛ ولا تحدد المصادر المتاحة يومًا لدخول القوات إليها
العملية العسكرية	عملية بيعور حميتس (جزء من عملية مسباراييم)
الوحدة العسكرية المنفذة للهجوم أو الاحتلال	وحدات من الهاغاناه، في عملية تولّت وحدات لواء كرملي القسط الأكبر منها، وكانت خطة دالت قد أسندت احتلال القرية إلى لواء كرملي؛ ولا تسمّي المصادر المتاحة الوحدة التي دخلت القرية بعينها. أما مجزرة 31 كانون الأول/ديسمبر 1947 فنفّذتها قوة من البلماح قوامها 170 رجلًا
سبب النزوح	هجوم عسكري مباشر من القوات الصهيونية: مجزرة كانون الأول/ديسمبر 1947، ثم الحصار والقصف في 24 نيسان/أبريل 1948 الذي انتهى بإخلاء السكان بموجب هدنة رتّبها البريطانيون
المستعمرات الموثقة على أراضي القرية	تل حنان: استوطن مهاجرون صهيونيون القرية نفسها سنة 1949 وسمّوها تل حنان، وهي اليوم جزء من نيشر. وكانت نيشر قد نشأت في فترة الانتداب حول معمل للأسمنت ومبانٍ أقامها مستثمرون صهيونيون على قسم استأجروه من أراضي القرية

الموقع

كانت بلد الشيخ تقع في سهل حيفا عند سفح الامتداد الشمالي الغربي لجبل الكرمل، على بعد نحو 7 كيلومترات جنوب شرقي مدينة حيفا.

وكان متوسط ارتفاعها نحو 75 مترًا عن سطح البحر.

مر طريق حيفا–جنين العام إلى الشرق من القرية، كما مر شرقيها خط سكة حديد حيفا–سمخ على بعد نحو نصف كيلومتر.

وكان في الطرف الشمالي من أراضي القرية مدرج للطائرات يبعد عن مركزها نحو كيلومترين.

ساهم قرب بلد الشيخ من حيفا ومن الطرق وخطوط السكك الحديدية والمناطق الصناعية في ربط اقتصادها بصورة وثيقة بمدينة حيفا.

سبب التسمية والتاريخ

سُميت بلد الشيخ نسبة إلى الشيخ الصوفي عبد الله السهلي.

ووفق وليد الخالدي، منح السلطان العثماني سليم الأول، الذي حكم بين سنتي 1512 و1520، الشيخ عبد الله السهلي جبايات القرية في الأيام الأولى من الحكم العثماني في فلسطين.

وتورد الروايات المحلية لأهالي بلد الشيخ تفاصيل أوسع بشأن أسرة السهلي وبدايات استقرارها في الموقع، لكن بعض هذه التفاصيل مستمد من التاريخ الشفوي العائلي، ولذلك ينبغي التمييز بينها وبين المعلومات المثبتة في المصادر المرجعية العامة.

في سنة 1859 زار نائب القنصل البريطاني في حيفا إدوارد روجرز القرية وقدر عدد سكانها بنحو 350 نسمة.

وفي سنة 1875 قدر الرحالة الفرنسي فيكتور غيران سكانها بنحو 500 نسمة، وذكر وجود أشجار الزيتون والنخيل وعدد من الينابيع في محيطها.

البنية المعمارية والمرافق

كان الشكل العام للقرية مستطيلاً، وكانت منازلها متقاربة ومبنية في معظمها بالحجارة والأسمنت.

وكان في بلد الشيخ مسجد ومقام للشيخ عبد الله السهلي، إضافة إلى المقاهي والمتاجر وغيرها من المرافق.

وعلى طريق حيفا–جنين العام كانت توجد محطتان للوقود.

كما ازداد ارتباط القرية بالخدمات والصناعة نتيجة قربها من مدينة حيفا والمنشآت الصناعية التي توسعت في المنطقة خلال فترة الانتداب.

السكان

بلغ عدد سكان بلد الشيخ 407 نسمات في تعداد سنة 1922.

وفي تعداد سنة 1931 ارتفع العدد إلى 747 نسمة يقيمون في 144 منزلًا. وتشمل هذه الإحصائية الصويطات وعرب القليطات وعرب السمنية وعرب الطوقية.

وفي إحصاءات 1944/1945 بلغ عدد السكان 4,120 نسمة، وكانوا جميعًا من العرب المسلمين.

وكانت بلد الشيخ في سنة 1945 ثانية كبرى قرى قضاء حيفا من حيث عدد السكان.

أما رقم 4,779 نسمة لسنة 1948 فهو تقدير لاحق وليس تعدادًا رسميًا.

وتورد «فلسطين في الذاكرة» تقديرًا يبلغ نحو 29,349 لاجئًا وذريتهم سنة 1998.

تطور عدد سكان بلد الشيخ

السنة	عدد السكان	ملاحظة
1859	نحو 350	تقدير إدوارد روجرز
1875	نحو 500	تقدير فيكتور غيران
1922	407	تعداد رسمي
1931	747	تعداد رسمي؛ يشمل تجمعات بدوية مجاورة
1944/1945	4,120	إحصاءات حكومة فلسطين
1948	نحو 4,779	تقدير لاحق
1998	29,349	تقدير للاجئين وذريتهم

عدد المنازل

سجل تعداد سنة 1931 وجود 144 منزلًا في بلد الشيخ.

أما رقم 921 منزلًا لسنة 1948 فهو تقدير لاحق وليس تعدادًا رسميًا.

التعليم

يثبت وليد الخالدي وPalQuest وجود مدرسة ابتدائية في بلد الشيخ أُنشئت سنة 1887 خلال العهد العثماني.

وتوثق دراسة فلسطينية محلية عن القرية أن التعليم توسع لاحقًا، وأن بلد الشيخ كان فيها بحلول سنة 1948 ثلاث مدارس.

بحسب هذه الدراسة، كانت هناك مدرسة حكومية تشرف عليها دائرة المعارف خلال الانتداب البريطاني، ومدرسة أهلية عُرفت باسم مدرسة الشيخ عبد الله، ومدرسة للبنات.

وتذكر الرواية المحلية أن المدرسة الحكومية ومدرسة البنات افتُتحتا على الأرجح في ثلاثينيات القرن العشرين، لكن هذه التواريخ تعتمد بدرجة أساسية على الشهادات والتوثيق المحلي وليست مثبتة بالتفصيل نفسه في المصدر المرجعي الأساسي.

الحياة الاقتصادية

اعتمد اقتصاد بلد الشيخ بصورة أساسية على الزراعة وتربية المواشي.

وكان الزيتون والحبوب والفاكهة من أهم محاصيلها، كما استخدم السكان معاصر الزيت لإنتاج زيت الزيتون.

وعمل عدد من أبناء القرية في مدينة حيفا بسبب قربها الشديد من البلدة ونمو النشاط الصناعي والتجاري فيها.

وكان في بلد الشيخ عدد من المقاهي ومحطتان للوقود على طريق حيفا–جنين.

وخلال فترة الانتداب استأجر مستثمرون صهيونيون جزءًا من أراضي القرية، وأُنشئ عليها مصنع للأسمنت ومبانٍ أخرى تطور حولها تجمع نيشر.

أراضي بلد الشيخ

بلغ مجموع أراضي بلد الشيخ وفق إحصاءات 1944/1945 نحو 9,849 دونمًا.

بلغت الملكية العربية 5,844 دونمًا، والملكية اليهودية 285 دونمًا، بينما بلغت الأراضي العامة 3,720 دونمًا.

المجموع	9,849
فئة الملكية	**المساحة بالدونم**
ملكية عربية	5,844
ملكية يهودية	285
أراضٍ عامة	3,720

استخدام الأراضي

في إحصاءات 1944/1945 بلغ مجموع الأراضي المزروعة بالحبوب 4,641 دونمًا: 4,410 دونمات عربية، و78 دونمًا يهودية، و153 دونمًا عامة.

وبلغت الأراضي العربية المروية أو المستخدمة للبساتين 368 دونمًا.

وتورد «فلسطين في الذاكرة» أن نحو 418 دونمًا كانت مزروعة بالزيتون. وهذا الرقم يمثل محصولًا داخل الأراضي الزراعية ولا يضاف بصورة مستقلة إلى إجمالي استعمال الأرض.

بلغت المنطقة المبنية 241 دونمًا، منها 221 دونمًا عربية و20 دونمًا عامة.

أما الأراضي غير الصالحة للزراعة فبلغت 4,599 دونمًا: 845 دونمًا عربية، و207 دونمات يهودية، و3,547 دونمًا عامة.

المجموع	5,844	285	3,720	9,849
نوع الاستخدام	**عرب**	**يهود**	**عام**	**المجموع**
الأراضي المروية والبساتين	368	0	0	368
الحبوب	4,410	78	153	4,641
المبنية	221	0	20	241
غير الصالحة للزراعة	845	207	3,547	4,599

مقام الشيخ عبد الله والآثار

كان مقام الشيخ عبد الله السهلي يقع إلى الشمال من القرية.

وبالقرب منه كان خان يُرجح أنه يعود إلى الفترة المملوكية.

كما عُثر في المنطقة على معصرة حجرية للعنب وبعض الأحواض التي قيل إنها تعود إلى الفترة البيزنطية.

وتوثق الروايات المحلية كذلك وجود منشآت زراعية ومعاصر وآبار ومعالم أخرى في أنحاء القرية وأراضيها.

الشيخ عز الدين القسام ومقبرة بلد الشيخ

استشهد الشيخ عز الدين القسام في **20 تشرين الثاني/نوفمبر 1935** خلال معركة مع القوات البريطانية في أحراج يعبد من قضاء جنين.

وشهدت حيفا في اليوم التالي جنازة جماهيرية كبيرة للقسام ورفاقه، ودُفن في مقبرة تقع على أراضي بلد الشيخ.

ويكتفي وليد الخالدي وPalQuest بوصفها بأنها مقبرة القرية التي تضم رفات القسام.

أما دراسة فلسطينية محلية عن بلد الشيخ فتقدم تفصيلًا أدق، وتميز بين مقبرة القرية القديمة الواقعة قرب مسجد الشيخ عبد الله وبين مقبرة ثانية في الشمال الشرقي من أراضي القرية، عُرفت باسم «مقبرة الاستقلال» ثم «مقبرة القسام»، وكانت تابعة لأوقاف مسجد الاستقلال في حيفا.

ودُفن القسام وعدد من رفاقه في هذه المقبرة، ثم دُفن فيها لاحقًا عدد من شهداء الثورة الفلسطينية.

مجزرة بلد الشيخ في 31 كانون الأول 1947

تعرضت بلد الشيخ في **31 كانون الأول/ديسمبر 1947** لمجزرة نفذتها قوة من البلماح التابعة للهاغاناه.

ووفق وليد الخالدي وPalQuest، بلغ قوام القوة المهاجمة نحو 170 رجلًا، وكانت أوامرها تطويق القرية وإيقاع أكبر قدر ممكن من الخسائر في الرجال وتخريب الممتلكات.

أسفر الهجوم عن مقتل أكثر من 60 فلسطينيًا، وكان بين الضحايا نساء وأطفال، كما دُمرت عشرات المنازل.

وقعت المجزرة في أعقاب أحداث مصفاة حيفا في اليوم السابق. فبحسب صحيفة «فلسطين»، كما ينقلها PalQuest، ألقت مجموعة من الأرغون قنبلة قرب عمال فلسطينيين عند المصفاة، فقُتل ستة فلسطينيين وأصيب العشرات، ثم اندلعت أعمال عنف داخل المصفاة قتل فيها عشرات العمال اليهود. وجاء الهجوم على بلد الشيخ لاحقًا بوصفه عملًا انتقاميًا من جانب الهاغاناه.

وتُنقل التفاصيل المأخوذة من السجلات والمصادر الإسرائيلية هنا فقط كما أوردها وليد الخالدي وPalQuest، وليس اعتمادًا مباشرًا على تلك المصادر.

الإخلاء الجزئي في كانون الثاني 1948

بعد المجزرة أُخليت بلد الشيخ جزئيًا في **7 كانون الثاني/يناير 1948**.

لكن القرية لم تقع تحت السيطرة الصهيونية النهائية في ذلك الوقت، واستمر جزء من السكان فيها حتى أواخر نيسان/أبريل.

عملية بيعور حميتس

نُفذت عملية «بيعور حميتس» بين **22 و24 نيسان/أبريل 1948**، وكانت جزءًا من عملية «مسباراييم» الأوسع في منطقة حيفا.

نفذ **لواء كرملي** القسط الأكبر من العملية، وكان هدف القوات الصهيونية توسيع السيطرة في المنطقة الخلفية لحيفا بعد الهجوم على المدينة.

وتذكر PalQuest أن عملية بيعور حميتس بدأت بهجمات على بلد الشيخ، وأن خطة «دالت» كانت قد أسندت إلى لواء كرملي مهمة السيطرة على القرية.

ومع ذلك، لا تحدد المصادر التي تمت مراجعتها كتيبة بعينها باعتبارها الوحدة التي دخلت بلد الشيخ بصورة مباشرة.

احتلال بلد الشيخ وتهجير سكانها

بعد سقوط حيفا في **22 نيسان/أبريل 1948**، أُبعد عدد من نساء بلد الشيخ وأطفالها إلى أماكن أكثر أمنًا خشية الهجوم المتوقع.

وعند فجر **24 نيسان** حاصرت وحدات من الهاغاناه القرية وطالبت السكان بتسليم أسلحتهم.

وتنقل PalQuest أن السكان سلموا 22 بندقية قديمة وطلبوا هدنة، لكن الهاغاناه رفضت طلبهم ما لم تُسلَّم بقية الأسلحة.

وفي نحو الساعة الخامسة صباحًا بدأت القوات المهاجمة إطلاق نيران الرشاشات وقذائف الهاون على القرية.

ووصلت قوة بريطانية إلى المنطقة، ثم رتبت هدنة تقضي بإخلاء السكان، بمن فيهم النساء والأطفال، تحت الحماية البريطانية.

وتضع «فلسطين في الذاكرة» تاريخ الاحتلال النهائي في **25 نيسان/أبريل 1948**. ولذلك فالأدق القول إن إخلاء بلد الشيخ واحتلالها النهائي جرى خلال **24–25 نيسان/أبريل**.

اتجه بعض المهجرين إلى عكّا، بينما لجأ آخرون إلى مناطق فلسطينية وبلدان عربية مختلفة.

وقع ذلك خلال النكبة واحتلال فلسطين سنة 1948، في سياق عمليات لواء كرملي حول حيفا وعملية بيعور حميتس.

تسلسل الاحتلال والتهجير

المرحلة	التاريخ	التفاصيل
مجزرة	31 كانون الأول/ديسمبر 1947	ارتكبت الهاغاناه مجزرة في القرية نفّذتها قوة من 170 رجلًا من البلماح أُمرت، بحسب «تاريخ الهاغاناه» كما ينقله الخالدي، «بتطويق القرية، وإلحاق الأذى بأكبر عدد ممكن من الرجال، وتخريب الممتلكات، والإحجام عن التعرض للنساء والأولاد»، غير أن الضحايا الذين تجاوز عددهم 60 قتيلًا كان بينهم نساء وأطفال، ودُمّرت عشرات المنازل. وجاءت المجزرة ثأرًا لمقتل عمال يهود في مصفاة النفط بحيفا في اليوم السابق، إثر قنبلة فجّرتها عصابة الأرغون عند أبواب المصفاة فقتلت 6 عمال فلسطينيين وجرحت 42 بحسب صحيفة «فلسطين».
بدء نزوح السكان	7 كانون الثاني/يناير 1948	أُخليت القرية جزئيًا بعد المجزرة، لكن القوات الصهيونية لم تحتلها إلا في نهاية نيسان/أبريل 1948.
بداية العملية العسكرية	22 نيسان/أبريل 1948	بدأت عملية بيعور حميتس، وهي جزء من عملية مسباراييم الأوسع، بهجمات على بلد الشيخ بحسب صفحة العملية في PalQuest، وتولّت وحدات لواء كرملي القسط الأكبر منها. ومع سقوط حيفا أُجلي عدد من نساء القرية وأطفالها إلى أماكن آمنة تحسبًا لهجوم.
قصف القرية	24 نيسان/أبريل 1948	حاصرت وحدات من الهاغاناه القرية فجرًا وطالبت سكانها بتسليم أسلحتهم، فسلّموا «22 بندقية قديمة» وطلبوا هدنة، فرفضت الهاغاناه وهدّدت بالهجوم. وفي الساعة الخامسة صباحًا فتحت النار بمدافع الهاون والرشاشات، وذكرت وحدة بريطانية وصلت في السادسة أنه لم يصدر عن القرية «أي رد تقريبًا».
تهجير السكان والاحتلال النهائي	أواخر نيسان/أبريل 1948	رتّب البريطانيون بعد القصف هدنة تقضي بإخلاء القرية من سكانها، بمن فيهم النساء والأطفال، تحت حماية بريطانية، ولم تحتل القوات الصهيونية القرية إلا في نهاية نيسان/أبريل من دون أن تحدد المصادر المتاحة يوم دخولها. واتجه بعض السكان إلى عكا ثم فرّوا منها بعد أيام حين عمّ الذعر المدينة، بحسب موريس كما ينقله الخالدي.
إقامة مستعمرة على أراضي القرية	1949	استوطن مهاجرون صهيونيون القرية وأطلقوا عليها اسم تل حنان، وهي اليوم جزء من مستعمرة نيشر.

نيشر وتل حنان

كان تجمع نيشر الصناعي قد بدأ بالنمو خلال فترة الانتداب حول مصنع الأسمنت والمنشآت التي أقيمت على جزء من أراضي بلد الشيخ المستأجرة.

بعد تهجير أهالي بلد الشيخ، استوطن مهاجرون يهود موقع القرية في سنة **1949**، وأطلقوا عليه اسم «تل حنان».

وأصبح تل حنان لاحقًا جزءًا من مدينة نيشر.

التجمعات الإسرائيلية المرتبطة بأراضي بلد الشيخ

الاسم	الفترة	العلاقة بالقرية
نيشر	فترة الانتداب	نشأت حول مصنع الأسمنت ومنشآت أقيمت على جزء مستأجر من أراضي القرية
تل حنان	1949	أُنشئ على موقع القرية بعد تهجير سكانها وأصبح لاحقًا جزءًا من نيشر

بلد الشيخ بعد النكبة

وفق التوثيق الميداني الذي اعتمد عليه وليد الخالدي، بقي عدد كبير من المنازل والمتاجر العربية قائمًا في موقع بلد الشيخ، واستُخدمت هذه المباني بعد النكبة من سكان تل حنان ونيشر.

كما بقيت مقبرة القرية ظاهرة، وإن كانت في حالة إهمال في زمن التوثيق.

وتورد «فلسطين في الذاكرة» أن مقبرة القسام وقبر الشيخ عز الدين القسام تعرضا للاعتداء والتخريب في أواخر سنة 1999.

ويعكس وصف وليد الخالدي حالة الموقع في فترة توثيقه الميداني، ولا يمثل بالضرورة مسحًا شاملاً ومحدثًا لجميع مباني الموقع سنة 2026.

المصادر

- الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية PalQuest: بلد الشيخ.
- PalQuest: عملية بيعور حميتس.
- PalQuest: عز الدين القسام.
- فلسطين في الذاكرة: بلد الشيخ، قضاء حيفا.
- وليد الخالدي، «كي لا ننسى»: بلد الشيخ، كما نشرته فلسطين في الذاكرة.

- رشا السهلي، «قرية بلد الشيخ» – موسوعة القرى الفلسطينية.
- وليد الخالدي، «كي لا ننسى»، مادة بلد الشيخ.
- حكومة فلسطين، تعدادا السكان لسنتي 1922 و1931.
- حكومة فلسطين، دائرة الإحصاء، «إحصاءات القرى لسنة 1945».